[52] أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير " (1). يسأل ربه أن يتخذ أرض مكة - وهي يومئذ أرض قفرة وواد غير ذي زرع - حرما لنفسه ليجمع بذلك شمل الدين، ويكون ذلك رابطة أرضية جسمانية بين الناس وبين ربهم يقصدونه لعبادة ربهم، ويتوجهون إليه في مناسكهم، ويراعون حرمته فيما بينهم، فيكون ذلك آية باقية خالدة في الأرض يذكر ا كل من ذكره، ويقصده كل من قصده، وتتشخص به الوجهة، وتتحد به الكلمة. والدليل على أنه (عليه السلام) يريد بالأمن الأمن التشريعي الذي هو معنى اتخاذه حرما دون الأمن الخارجي من وقوع المقاتلات والحروب وسائر الحوادث المفسدة للأمن المخلة بالرفاهية قوله تعالى: " أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ " (2) فإن في الآية امتنانا عليهم بأمن الحرم وهو المكان الذي احترمه ا لنفسه، فاتصف بالأمن من جهة ما احترمه الناس لا من جهة عامل تكويني يقيه من الفساد والقتل، والآية نزلت وقد شاهدت مكة حروبا مبيدة بين قريش وجرهم فيها، وكذا من القتل والجور والفساد ما لا يحصى، وكذا قوله تعالى: " أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم " (3) أي لا يتخطفون في الحرام لاحترام الناس إياه لمكان الحرمة التي جعلناها. وبالجملة: كان مطلوبه (عليه السلام) هو أن يكون في الأرض حرم تسكنه ذرية، وكان لا يحصل ذلك إلا ببناء بلد يقصده الناس من كل جانب فيكون مجمعا دينيا يؤمونه بالسكونة واللواذ والزيارة إلى يوم القيامة فلذلك سأل أن يجعله بلدا آمنا، وقد كان غير ذي زرع فسأل أن يرزقهم من الثمرات حتى يعمر بسكانه ولا يتفرقوا منه. ثم لما أحس أن دعاءه بهذا التشريف يشمل المؤمن والكافر قيد مسألته بإيمان المدعو لهم با واليوم الآخر فقال: " من آمن منهم با واليوم الآخر " وأما

_____ (1) البقرة: 126. (2) القصص: 57. (3) العنكبوت: 67. _____